لِقاءُ العَشْرِ الأَواخِرِ
بِالمَسْجِدِ الحَرامِ
(٧٢)

البَيِّنَاتُ
فِي بَيَانِ بَعْضِ الآيَاتِ

تأليف

الملَّا علي بن سلطان محمد القاري الهروي

المتوفى سنة ١٠١٤ هـ
رحمه الله تعالى

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م

أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال ربُّنا جلَّتْ قدرتهُ وعظُمتْ حكمته:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وهذ الكتابُ تعليقٌ لطيفٌ، وبيانٌ نفيسٌ، لما فسَّرَ به العلَّامةُ الكبيرُ القاضي البيضاويُّ هذه الآية الكريمةَ في تفسيرِهِ المشهور، الذي اجتمعَ له من التعليقاتِ والشروحِ والحواشي ما لم يجتمعْ لتفسيرٍ آخر!

ولعلَّ اختيارَ العلَّامةِ المُلَّا علي القاري هذه الآيةَ للشرح والتعليقِ من بين ما فسَّرَهُ البيضاويُّ رحمهُ الله، هو لما وردَ في تفسيرها من إجمالٍ وإيجازٍ واجتهاد، ثم ما كان معتركاً لأصحابِ الحواشي في بيان كلماتِهِ وتقريبِ فحواه.. حتى قال المفسِّرُ العالمُ إسماعيل القنوي في حاشيته عليه (٣/ ١٤٣):

«لمّا كان كلامُ الشيخ البيضاويِّ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ الآيـة، مـن معـاركِ الآراءِ ومشتبـهِ الأعـلام، بحيـثُ يعجـزُ عـن

توضيحهِ فحولُ الفهّامِ الكرام، أردتُ بعونِ اللّـهِ تعالى تبيينَ مرامهِ ورفعَ حجابه، معتصماً بالملكِ العلاّم»!

وكانت المكانةُ العلميةُ والحاسَّةُ الذهنيةُ لدى الإمام القاري دافعاً لأنْ يخوضَ في غمارِ هذا المعترك، فدخلَ فيه بسلاحِ العلم والحكمةِ، فكان مفسِّراً شارحاً، ومعلِّقاً ناقداً، فاستدرك على القاضي أشياءَ لعلَّ الآخرينَ لم يتنبَّهوا إليها، وبيَّنَ في موضعٍ مخالفتَهُ لجمهورِ المفسِّرين لعله لم يقصده، أو أنه دِقَّةُ فهم من المؤلفِ لعبارته، مع بيان ما أجملَهُ في مواضع، أو خفيَ على القارىء مراده.

لكن بيتَ القصيدِ في تعليقهِ هذا هو ما يتعلَّقُ بمفهومِ العنوانِ الذي اختارَهُ لكتابه، وهو «**البينات في بيان بعض الآيات**». فالمقصودُ بالآياتِ هنا علاماتُ القيامةِ الكبرى، وليس «آياتِ» القرآن الكريم، فإن ما علق عليه المؤلفُ هنا هو تفسيرُ آيةٍ واحدةٍ من سورة الأنعام، وليس آيات!

وحقاً لمّا وصلَ إلى موضعهِ أثارَ موضوعاتٍ دقيقة، لعله لم يشفِ غليلَ القارىء في كلِّيته! وخاصةً في بيانِ الوقتِ الذي لا يُقبلُ فيه إيمانُ المرءِ ولا توبتُهُ ممن لم يؤمنْ أو لم يتبْ من قبل، عند ظهورِ الآياتِ الكبرى للساعة، وحول مدى عموميتها وظروفها. لكن «الشهاب» في حاشيته على التفسيرِ حسمَ هذا الأمرَ كما بيَّنتهُ في الهامش.

ثم أوردَ المؤلِّفُ مسائلَ عقديةً في آخرِ كتابه، وختمها بسؤالٍ لم يجبْ عليه، مما يثيرُ همَّةَ بعضِ العلماءِ للإجابةِ والبيانِ والتفصيلِ في مؤلَّفٍ مستقل!

* * *

والمؤلِّفُ عالمٌ جهبذ، هو نور الدين مُلاَّ علي بن سلطان محمد القاري الهروي الحنفي.

ولد بهراة، ثم رحلَ إلى مكةَ واستقرَّ بها، وتضلَّعَ من السنَّةِ النبوية، وجمعَ بين العلومِ النقليةِ والعقلية. وأقسم ابن عابدين أنه كان مجدِّدَ أهلِ زمانه! وله اجتهاداتٌ وردودٌ اشتُهِرَ بها.

والمتتبِّعُ لمؤلفاتِه يدركُ أنه واحدٌ من صدورِ العلم، وأنه كان فردَ عصرِهِ في التحقيقِ والتنقيح. وبلغتْ شهرتهُ الآفاق، وانتشرتْ مؤلفاتهُ في الأقطارِ والبلدان.

وقد عددتُ له أكثر من (١٣٠) مؤلَّفاً في مقدمةِ كتاب «الحذر في أمر الخضر» الذي وفَّقني اللَّهُ لتحقيقه، مع زيادةٍ في ترجمتِهِ وبيانِ مكانتِهِ العلمية.

وكانتْ وفاتهُ بمكة المكرمة عام ١٠١٤هـ، رحمنا اللَّهُ وإيَّاه، وأسكننا فسيحَ جناته.

* * *

ولهذا الكتابِ نسخٌ مخطوطة كثيرة، اعتمدتُ من بينها على اثنتين، هما: النسخة (أ) من مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، صورتها بالجامعة الإسلامية رقم ٧٣٠٧/ ٤ وتقع في (٧) ورقات، في كلِّ وجه (٢١) سطراً. وليس فيها بيانٌ بتاريخ النسخ، ولعل السبب أنها في مجموع، حيث إنها محصورةٌ بين الورقات (٥٩ ــ ٦٥). وفي آخر الرسالة التي قبلها بيان بتاريخ (١٠٧٨هـ) فلعله تاريخها أيضاً.

والنسخة (ب) من المكتبة الأحمدية بحلب، صورتها كذلك بالجامعة

الإسلامية في المدينة المنورة رقم ٣٣٧٥، وتقع في (٨) ورقات (١٠٨ ـ ١١٥)، في كل وجه (١٥) سطراً. ولا تاريخ لنسخها أيضاً.

أدعو الله تعالى أن ينفعَ بهذه الرسالةِ المفيدة، وأن يجعلني من المشتغلين بكتابهِ الكريم، ويتقبلَ مني عملي خالصاً لوجههِ الكريم، إنه هو البَرُّ الرحيم.

والحمدُ للّهِ ربِّ العالمين.

محمد خير رمضان يوسف

١٤٢٥هـ

بناء امر النبوة والمعرفة على الامور النسبية والاحوال الكسبية لا
على المواهب الالهية السبحانية والجذبات الربانية الصمدانية
كما اشار الله سبحانه الى هذا المعنى في رد ذلك المبنى بقوله يخرج الحي
من الميت ويخرج الميت من الحي فاخرج الله سبحانه المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن كابن نوح عليه السلام فانه كافر باجماع ايمة الاسلام
وكقابيل قاتل هابيل من ابني آدم عليه السلام فانه كافر باتفاق علماء
الاعلام ولما راى عليه السلام عكرمة بن ابي جهل بعد الاسلام قراء
يخرج الحي من الميت وفي هذا بيان عظيم الى ان الايمان انعام جسيم
لا يصل اليه الا نبي او ولي كريم ممن سبقت لهم الحسنى بالوصول
الى المقام الاسنى فنال الله تعالى حسن الخاتمة الدالة على سبق
العناية بتعلق الارادة لتحقق السعادة داعين ربنا توفنا
مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا
الجنة آمنين غير خزايا ولا مفتونين
آمين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
٧٨

رسالة المسمى بالبينات في بيان بعض الايات

بسم الله الرحمن الرحيم رب زدني علما يا كريم
الحمد لله الذي اظهر الايات الواضحات في كلامه القديم، وابرز العلامات
اللايحات في الآفاق من كل اقليم، والانفس المخلوقة في احسن تقويم
والصلاة والسليم على من خلق بالخلق العظيم وجبل بالقلب
السليم

السليم وعلى آله واصحابه واتباعه واحبابه الثابتين على الصراط
المستقيم والمقيمين على الطريق القويم، اما بعد فيقول
الملتجي الى حرم ربه الباري علي بن سلطان محمد القاري
غفر ذنوبهما وستر عيوبهما ان الحبر العلامة والبحر الفهامة
عمدة المتبحرين وزبدة المتاخرين من ارباب الاصول والمفسرين
مولانا القاضي البيضاوي توالت عليه آثار الرحمة وانوار النعمة
الى يوم الدين قال في تفسير قوله تعالى هل ينظرون اي ما ينظرون
اشارة الى ان هل استفهام للانكار والنظر بمعنى الانتظار وانما
لم يحمله على التقرير ليستقيم المعنى بالاستثناء الآتي في النفي ولما
قال العصام جعل الاستفهام للانكار وانكر الرضي في الاستفهام
بهل والظاهر انه للتقرير فقاصر في مقام التحرير وفي تحقيق هذه
المسألة لا ستغنى عن المعنى القوي لاهل التفسير يعني اي يريد الحق
سبحانه بالضمير اهل مكة اي كفارهم ثم لان الآية من جملة السورة
التي باسرها مكية والا فالظاهر ان الضمير لمن ذكر قبل هذه الآية بقوله تعالى
سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب فكانه قال هل
ينظر المعرضون عن الآيات البينات المقرونة بالمعجزات والعلامات
الدالات للمكونات في الآفاق والانفس من الكائنات وقد يقال
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في القضية فيكون الضمير
لجميع الكفار الموجودين ومن بعدهم ليشمل الشاهدين للآيات
الآتية ولا يبعد ان يكون الضمير لجميع الخلائق لزيادة التهويل والتحذير
اليه قل انتظروا انا منتظرون ثم لا يخفى ان قوله تعالى هل ينظرون الخ

أول المخطوطة (أ)

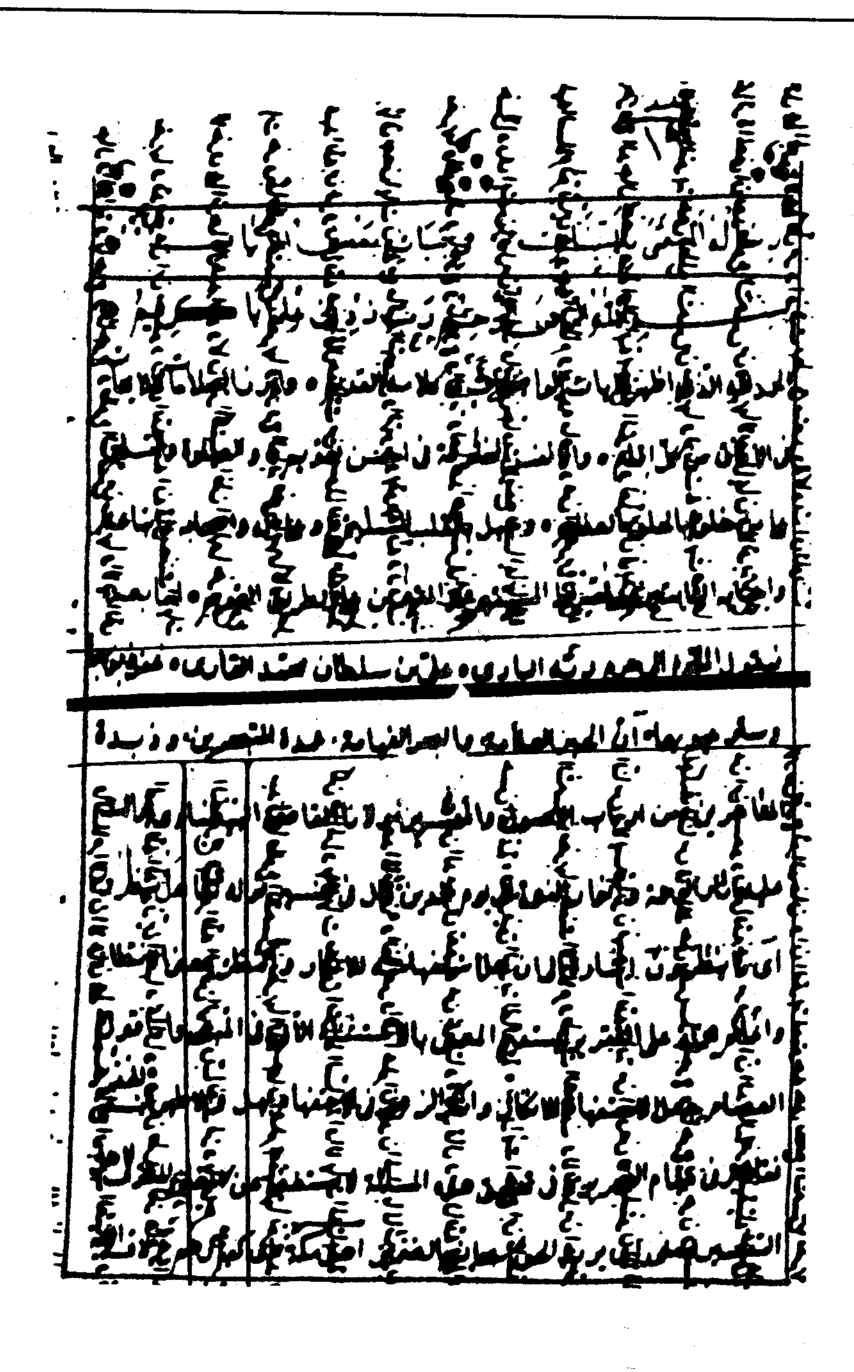
فالمال فبالضرورة يكون قبل خروج الدجال ومن للغزران عيسى عليه
السلام يقتله والايمان في زمانه مقبول حتى يرتفع الجزية من
الاحكام ولم يكن الا السيف او الاسلام قلت الظاهر ان المراد
باول الايات الايات السماوية من اختلال نظام الافلاك والكواكب
وامثالها ويؤيده ما ورد في احاديث متعددة ان الايات خرزات
منظومات فاذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا وعن ابي هريرة
رضي الله عنه الايات كلها في ثمانية اشهر وعن ابي العالية في ستة اشهر
وعن قتادة ان كل اية في سنة والله اعلم فان قلت فقد ورد في
حديث صحيح ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها قلت يحمل على
المجموع لا على كل فرد اذ ثبت بطرق متعددة كادت ان تكون متواترة
بل هي متواترة المعنى ان بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل ايمان
ولا توبة بل صح حديث لا ينقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها
ولم يات في حديث صريحا ان بعد خروج الدجال مخصوصة او الدابة
ينفع التوبة ولعله كان في بدء الامر مبهما عنده عليه السلام ثم تبين
على وجه النظام ويؤيده ما ورد عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا خمس
لا ادري ايتهن اول من الايات وايتهن جاءت لا ينفع نفسا ايمانها
طلوع الشمس من مغربها والدجال ويأجوج ومأجوج والدخان والدابة
ولعل هذا هو السر في ابهام الامر بقوله يوم ياتي بعض ايات ربك
مع ما فيه من التجهيل والتهويل ويقويه انه ورد في حديث صحيح
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله

عليه وسلم

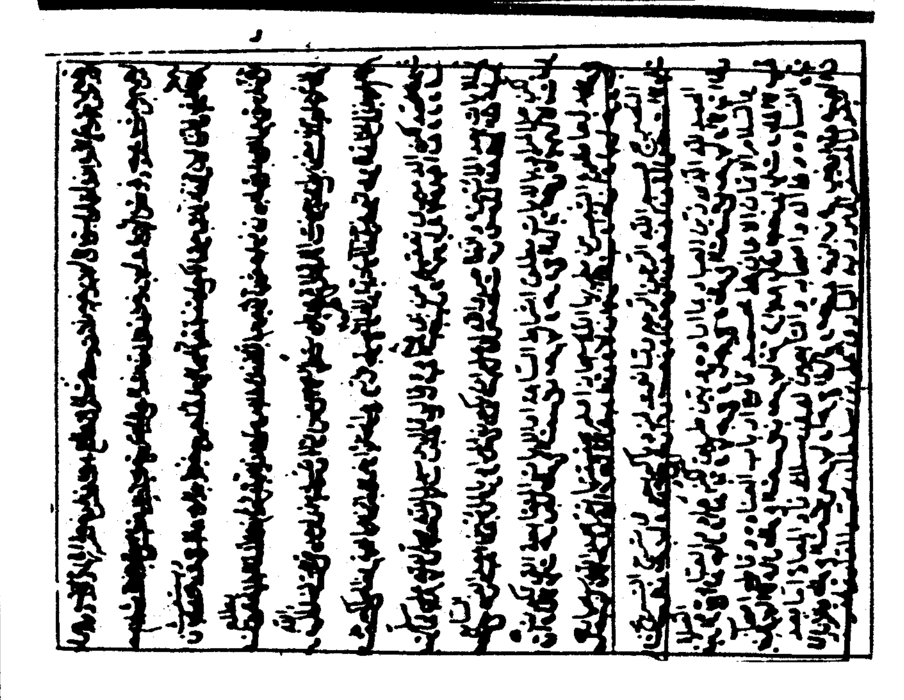
عليه وسلم ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة
ضحى فايتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قال عبد الله وكان
يقرا الكتب واظن اولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها وقد صح
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال مضت الايات غير اربع الدجال
والدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها والاية التي يختم
بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ثم قرا يوم ياتي بعض ايات ربك
الاية قال فهي طلوع الشمس من مغربها واخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة
ان دابة الارض تخرج ثم الدجال وان التوبة لمفتوحة ثم تطلع الشمس
من مغربها وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا ان الدجال
يخرج فيقتله عيسى عليه السلام فيمكث الناس في ذلك حتى يكسر
ياجوج ومأجوج فيموجون ويفسدون ويستغيث الناس ولا يستجاب لهم
فيبعث الله دابة من الارض ولا يلبثون الا قليلا حتى تطلع الشمس
من مغربها وجفت الاقلام وطويت الصحف ولا يقبل من احد توبة
فنسال الله حسن الخاتمة وتوفيق التوبة الخالصة ثم رايت اخرج
ابن ماجة والحاكم وصححه لكن الذهبي تعقبه عن ابي قتادة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات بعد المائتين والظاهر والله اعلم
ان يكون المراد بالمائتين بعد الالف السابع لكن هل المراد بالايات
مطلق اشراط الساعة او الايات المتتابعة التي تكون مبدؤها
طلوع الشمس من مغربها الله سبحانه
اعلم بحقيقتهما ثم بحمد الله
سبحانه

الايات بعد المائتين

آخر المخطوطة (أ)



أول المخطوطة (ب)



آخر المخطوطة (ب)



تأليف

الملا علي بن سلطان محمد القاري الهروي

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبِّ زِدْنِـي عِلْماً يا كريم

الحمدُ للّٰهِ الذي أظهرَ الآياتِ الواضحاتِ في كلامهِ القديم، وأبرزَ العلاماتِ اللائحاتِ في الآفاقِ من كلِّ إقليم، والأنفسَ المخلوقةَ في أحسنِ تقويم.

والصلاةُ والتسليمُ على من خُلِّقَ بالخُلُقِ العظيم، وجُبِلَ بالقلبِ السليم، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأتباعِهِ وأحبابِهِ الثابتينَ على الصراطِ المستقيم، والمقيمينَ على الطريقِ القويم، **أما بعد**:

فيقولُ الملتجِىءُ إلى حرمِ ربِّهِ الباري علي بن سلطان محمد القاري، غَفَرَ ذنوبَهما وَسَتَرَ عيوبَهما:

إن الحَبْـرَ العـلّامـةَ، والبحـرَ الفهّـامـة، عمـدةَ المتبحِّـريـن، وزبـدةَ المتأخرينَ مـن أربابِ الأصولِ والمفسِّرين، مولانـا القاضي البيضاوي(1)، تـوالتْ عليـه آثـارُ الرحمـةِ وأنـوارُ النعمـةِ إلى يـوم الدين، قـال في تفسيـرِ

---

(1) العلاّمـة عبـد الله بن عمـر بن محمـد البيضاوي، ناصـر الدين، أبـو الخير. كان إماماً علاّمة عارفاً بالفقه والتفسير والأصلين والعربية والمنطق، نظاراً، صالحاً، متعبداً، شافعياً. صنف كتباً عديدة. ت ٦٨٥هـ. وقال السبكي: ٦٩١هـ. بغية الوعاة (٢/ ٥٠).

قولِه تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾[1]:

«أي ما ينظرون»[2]؟ إشارةً إلى أن «هل» استفهامٌ[3] للإنكار. والنظرُ بمعنى الانتظار.

وإنما لم يحملْهُ على التقريرِ ليستقيمَ المعنىٰ بالاستثناءِ الآتي في المبنى. وأما قولُ العصام[4]: جعلَ الاستفهامَ للإنكار، وأنكرَ الرضيُّ[5] في الاستفهامِ بـ«هل»، والأظهرُ أنه للتقرير: فقاصرٌ في مقام التحرير[6]، وفي تحقيقِ هذه المسألةِ لا يستغنىٰ عن المعنى المقوِّي لأهلِ التفسير، يعني: أي يريدُ الحقُّ سبحانَهُ بالضميرِ «أهلَ مكة»[7]،

(١) قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

(٢) هكذا ورد في النسختين، ولعله كذلك في بعض نسخ البيضاوي، وقد ورد في تفسيره: «أي ما ينتظرون»؟ حاشية محيي الدين زاده (٢/ ٢٢٣).

(٣) في ب: استفهامية.

(٤) يعني الفاضل المحقق عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه الإسفراييني. ت ٩٤٣هـ. في حاشيته على تفسير البيضاوي، وهي من أول القرآن إلى آخر سورة الأعراف، ومن أول سورة النبأ إلى آخر القرآن.

(٥) محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي، نجم الدين. عالم بالعربية. من أهل استراباذ. اشتهر بكتابيه شرحي الكافية والشافية لابن الحاجب. ت نحو ٦٨٦هـ. الأعلام (٦/ ٨٦).

(٦) وقال الشيخ إسماعيل القنوي في حاشيته على تفسير البيضاوي (ج ٣ تكملته ص ١٤١): وضعفه لا يخفى، إذ الاستثناء لا يلائم لكونه للتقرير على ما لا يخفى للمنصف النحرير.

(٧) من تفسير البيضاوي، حاشية محيي الدين زاده (٢/ ٢٢٣). وهكذا ما يأتي =

أي كفّارَهم؛ لأن الآيةَ من جملةِ السورةِ التي بأسرها مكية.

والأظهرُ[1] أن الضميرَ لمن ذُكِرَ قبل هذه الآية، بقوله تعالى: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[2]، فكأنَّهُ قال: هل ينظرُ المُعْرِضون عن الآياتِ البيِّناتِ المقرونةِ بالمعجزاتِ والعلاماتِ الدالّاتِ، المكنوناتِ[3] في الآفاقِ والأنفسِ من الكائنات؟

وقد يقال: العبرةُ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ في القضيَّة، فيكونُ الضميرُ لجميعِ الكفارِ الموجودينَ ومن بعدهم، ليشتملَ المشاهدينَ[4] للآيات الآتية[5].

ولا يبعدُ أنْ يكونَ الضميرُ لجميعِ الخلائقِ لزيادةِ التهويل، ويشيرُ إليه: ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[6].

ثم لا يخفىٰ أن قولَهُ تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، أبلغُ من أن يُقال: «ما ينتظرون»، لزيادةِ دلالةِ «هل» للإنكارِ على مجرَّدِ النفي في الإخبار، وللمبالغةِ المفهومةِ من النظر، الذي هو أقربُ من المترقِّب في مقام العَبْر، فعبَّر عن الانتظارِ بالنظرِ، نظراً لكمالِ تحقُّقه، وقربِ وقوعه.

«وهم ما كانوا منتظرين»: أي في الحقيقة.

= بين علامتي التنصيص مما يشرحه المؤلف.

(١) في ب: ويظهر.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٧.

(٣) في ب: المكنونة.

(٤) في ب: الشاهدين.

(٥) في أ: الآية.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

«لذلك»: أي لما سيأتي من إتيانِ الملائكةِ وغيره. بل منكرين لما هنالك.

والعجيبُ من الخطيب[1] في قوله: يُعْلَمُ من كلامهِ[2] أنه غيرُ باقٍ على معناهُ الحقيقي، لكن لم يظهرْ أن معناهُ المجازيَّ[3] المستعملُ منه أيُّ شيء. وكأنه نظرَ إلى قوله[4]: «ولكن لما كان يلحقهم ــ أي العذاب ــ لحوقَ المنتظرِ» في هذا الباب: «شُبِّهوا بالمنتظرينَ» لما يأتيهم من ربِّ الأرباب.

والمعنى: أقمنا حججَ الوحدانية، وأدلَّةَ صحةِ الرسالة، وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالةِ. فما[5] ينتظرون ــ بعد إنكار القرآن، وتكذيب رسولِ آخرِ الزمان ــ شيئاً من الأهوالِ حالاً من الأحوال[6].

﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ «ملائكةُ الموت»، أي: لقبضِ أرواحهم «أو العذاب»[7].

---

(١) لعله يعني: أبا الفضل نور الدين أحمد بن محمد بن خضر العمري القرشي الصديقي الخطيب، المشهور بالكازروني، المتوفى في حدود ٩٤٠هـ، أو بعد ٩٢٣هـ. فله حاشية على تفسير البيضاوي، كما ذكره في كشف الظنون (١/ ١٨٩)، أو في كتابه «الصراط المستقيم في تبيان القرآن الكريم»، ذكره له صاحب الأعلام (١/ ٢٣٢)، وقدم جزء منه رسالة دكتوراه في جامعة الإمام بالرياض سنة ١٤١٣هـ.

(٢) في ب: مكامه، أو قريب من هذا الرسم.

(٣) في ب: المجاز.

(٤) أي: البيضاوي، حاشية محيي الدين زاده (٢/ ٢٢٣).

(٥) في النسختين: مما.

(٦) في ب: أحوال.

(٧) قال الشيخ محيي الدين زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي (٢/ ٢٢٣): وتقدير الآية أنهم لا يؤمنون بك إلاَّ إذا جاءهم أحد هذه الأمور الثلاثة، وهي: =

ولا منعَ من الجمع، بل هو أقربُ إلى الصواب، لأن الموتَ لا يشكّ أحدٌ في إتيانه، بل كلُّ أحدٍ ينتظرُ حلولَ زمانه.

ولعلَّ الفرقَ مبنيٌّ على أن التخويفَ إما بالعذابِ في العقبى، وإما بالعذابِ النازلِ في الدنيا.

والمعنى أنه لا بدَّ من أحدهما، ولا منعَ من اجتماعهما.

«وقرأ حمزة[1]، والكسائي[2] بالياء»[3]، يعني بالتذكير. وكان حقُّهُ أن يبيِّنَهُ بالتحتيَّةِ لئلا يشتبهَ بالفوقية.

والحاصلُ أن الجمهورَ قرأوا بتأنيثِ «تأتيهم» نظراً إلى لفظِ فاعله.

ومن قرأ بتذكيرهِ نظراً إلى أن فاعلَهُ غيرُ مذكَّر.

وأما ما ذكرَهُ الجعبريُّ[4] من أن فاعلَهُ مذكَّرٌ فغيرُ مستقيم، لأن

= مجيء الملائكة، أو مجيء الرب، أو مجيء الآيات القاهرة من الرب. كأنه قيل: إني أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فما ينتظرون إلاَّ أحد هذه الأمور.

(١) حمزة بن حبيب الزيات الزاهد. أحد القراء السبعة. قرأ على التابعين وتصدَّر للإقراء، فقرأ عليه جلُّ أهل الكوفة. وكان رأساً في القرآن والفرائض، قدوة في الورع. ت ١٥٦هـ. العبر (١/ ١٧٤).

(٢) علي بن حمزة الكسائي الكوفي، شيخ القراءات والنحو، أحد السبعة. قرأ على حمزة وأدَّب الرشيد وولده الأمين. ت ١٨٩هـ. المصدر السابق (١/ ٢٣٤).

(٣) تتمته في تفسير البيضاوي: هنا وفي النحل.

(٤) شيخ بلد الخليل العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري الشافعي، صاحب التصانيف. أجاز له ابن خليل، وتلا على الوجوهي وغيره، ورحل إليه القراء. ت ٧٣٢هـ. العبر (٤/ ٩٤).

قلت: وله كتب عديدة في القراءات، فلعله ذكره في بعضها.

الملائكةَ لا يوصفونَ بالذكورةِ والأنوثة.

﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾: إتيانُ الربِّ من الآيات المتشابهاتِ المتعلِّقةِ بصفاتِ الذات، نؤمنُ به، وننزِّهَهُ عن ظاهره.

وحملَ بعضُهم هذه الآية ونحوَها من سائرِ الآياتِ والأحاديثِ المتشابهاتِ[1] على أن الله[2] سبحانه تجلِّياً صورياً، وهوَ بذاتهِ على أكملِ صفاته، أزليّاً وأبدِيّاً.

«أي: أَمْرُهُ بالعذاب»: إشارةً إلى مضافٍ مقدَّرٍ في المقام، ليستقيمَ معنى الكلام. والمرادُ به عذابُ يومِ القيامة، لئلا تتكرَّرَ العبارة[3].

«أو كلُّ آياته»: بتقديرِ مضافٍ ومضافٍ إليه.

«يعني آياتِ القيامة»، أي: الآياتِ الواقعةَ في يومِ القيامة.

و «الهلاك الكلِّي»[4]، أي: العقوبة الكاملةَ لأربابِ الندامةِ وأصحاب الملامة.

وهذا أقربُ وأنسب، «لقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾».

قال البغوي: يعني طلوعَ الشمسِ من مغربِها. عليه أكثرُ المفسِّرين.

---

(١) الصحيح أن هذه الآية وغيرَها من آيات الصفات هي من المحْكَمات لا من المتشابهات، ولذلك لم يختلف السلف رحمهم الله تعالى في تفسيرها، وأن المراد منها حقيقتُها على ما يليق به سبحانه، دون تشبيه أو تكييف ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [العشر الأواخر].

(٢) في النسختين: الله!

(٣) في النسختين: يتكرر العبادة.

(٤) في تفسير البيضاوي: يعني آيات القيامة والعذاب والهلاك الكلي.

ورواهُ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حديثاً مرفوعاً[1].

فالمصنِّف خالفَ الجمهورَ بقوله: «يعني أشراطَ الساعة»، يعني الآياتِ الخاصَّةَ التي هي مقدِّمةُ القيامةِ الصغرى، وهي النفخةُ الأولى، قبلَ النفخةِ الثانية، التي هي حقيقةُ القيامةِ الكبرى[2].

وقد وردَ أن ما بين النفختينِ أربعونَ سنة[3].

ويقولُ الحقُّ سبحانَهُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ ويجيبُ بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾[4].

«وعن حذيفة» أي ابنَ أَسيد[5] رضي الله عنه، كما في حديثِ مسلم وغيرِه.

---

(١) قوله ﷺ في الآية: «طلوعُ الشمس من مغربها». سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام (٥/ ٢٦٤) رقم (٣٠٧١) وقال: حديث حسن غريب، وقد رواه بعضهم ولم يرفعه.
ورواه أحمد مرفوعاً في المسند (٣/ ٩٨). وانظر تخريجه في روايات أخرى: الدر المنثور (٣/ ١٠٨) فما بعد.

(٢) يحسن في هذا مراجعة حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/ ١٤٠ ــ ١٤١).

(٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟ قال: أبيتُ [أي امتنعتُ عن تعيين ذلك]، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، قال: أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ.
صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة الزمر (٦/ ٣٤)، وسورة النبأ (٦/ ٧٩)، وأوله هنا: «ما بين النفختين أربعون»، ومثله في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (٤/ ١٧٩٦) رقم (٢٩٥٥).

(٤) سورة غافر: الآية ١٦.

(٥) حذيفة بن أسيد، ويقال: ابن أمية، الغفاري، أبو سريحة. له صحبة، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ وهو أول مشاهده. ونزل الكوفة، ومات فصلَّى عليه =

وأمـا قوله: «والبـراء بن عـازب رضي الله عنهما»، فلم يعـرفْ مخرجٌ عنه.

«كنا»: أي معشرَ الصحابة.

«نتذاكرُ الساعةَ»، أي: ساعةَ القيامة، وما فيها من الأحوالِ والأهوال، وما ينفعُ حينئذٍ من الأقوالِ والأعمال.

«إذْ أشرفَ علينا رسولُ الله ﷺ» أي ظهرَ، وطلع، وبرز، ولمع، من عُليته، كما في رواية.

«فقال: «ما تَذَاكرون؟»».

وفي رواية: «ماذا تَذَاكرون».

فـ«ما» استفهامية، و«ذا» زائدة. وهو بفتحِ أوله على أنَّهُ حُذِفَ منه إحدى التائين.

«قلنا: نتذاكرُ الساعة»، أي: لعلَّ ذكرُها يُعينُنَا على الطاعة.

قال: «إنها»، أي القيامة الكبرى.

«لا تقومُ حتى تَرَوْا»، أي تشاهدوا أيها الأمة.

«قَبْلَها»، أي قبلَ مشاهدتها.

«الدخان». قال تعالى في الدخان: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾(١).

= زيد بن أرقم. تهذيب الكمال (٥/ ٤٩٣).

(١) سورة الدخان: الآيتان ١٠، ١١. ويأتي تخريجه بعد الرواية التالية.

وورد في حديث أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما: «ثم يخرجُ الدُّخَانُ[1]، فيأخذُ المؤمنَ منه كهيئةِ الزكمة، ويدخلُ في مسامعِ الكافرِ والمنافقِ حتى يكونَ كالشيء الحنيذ»[2].

«ودابَّةَ الأرض». وفي الحديث أيضاً: «يبيتُ الناسُ يسيرونَ إلى جمع، وتبيتُ دابَّةُ الأرضِ تسري إليهم، فيُصبحونَ وقد جَعَلَتْهُم بين رأسِها وذَنَبِها. فما من مؤمنٍ[3] إلاَّ تمسحهُ، ولا منافقٍ ولا كافرٍ إلاَّ تخطمه»[4].

«وخسفاً بالمشرقِ وخسفاً بالمغرب» لكفارِ أهلهما، لا على وجهِ الاستئصال، فلا يَرِدُ فيه نوعٌ من الإشكال.

«وخسفاً بجزيرةِ العرب» وحدَها. معروفة. وسُمِّيتْ جزيرةً لإحاطةِ بحرِ فارس وبحرِ السودان ونهرِ دجلةَ والفراتِ بها.

«والدجالَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ويأجوجَ ومأجوج» بالهمزِ فيهما، ويبدَّل.

«ونزولَ عيسى عليه السلام، وناراً تخرجُ من عَدَن»[5].

---

(١) في المستدرك «الدجال»! وهو خطأ مطبعي.

(٢) جزء من الحديث التالي. انظر تخريجه في هامشه.

(٣) في المستدرك: «فما مؤمنٌ». وما يليه من المعطوف عليه مرفوع.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٥) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، تعقبه الذهبي بقوله: ابن البيلماني ضعيف، وكذا الوليد. وورد الحديث ناقصاً في أ.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/ ١٧٦٣) رقم (٢٩٠١) والذي يليه، مسند أحمد (٤/ ٦، ٧) شرح مشكل الآثار للطحاوي (١/ ٤١٨) رقم (٩٥٩)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم. =

الواو العاطفةُ فيها بمجرَّدِ الجمعيةِ لا لترتيبِ وقوعِ أفراد القضيَّـة. فإنه ثبـتَ فـي الأحـاديـثِ النبـويَّـةِ أن الـدجـال يحصـرُ المهـديَّ فـي حصـنِ بيـتِ المقدس، فينزلُ عيسى عليه السلام ويقتلُ الدجال، ثم يكونُ يأجوجُ ومأجوجُ وطلوعُ الشمسِ من مغربها آخرَ الآيات[1].

= قلت: وهكذا وردت «الآيات» منصوبة حسب السياق، وفي المصادر المثبتة وردت مرفوعة، وفيه سقط بعض الكلمات.

ولفظه في صحيح مسلم: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات». فذكر الـدخـان، والـدجـال، والـدابـة، وطلـوع الشمـس مـن مغـربهـا، ونـزول عيسـى ابـن مـريـم ﷺ، ويـأجـوج ومـأجـوج، وثـلاثـة خسـوف؛ خسـفٌ بـالمشـرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

ولفظـه التـالـي: «إن السـاعـة لا تكـون حتـى تكـون عشـرُ آيـات: خسـفٌ بالمشرق...» إلخ.

والرواية التي ذكرها المؤلف: «ماذا تذكرون»، أوردها السيوطي لعدة في الدر المنثور (٣/ ١١٣)، ولعلها لأحدهم.

(١) حديث نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال وخروج يأجوج ومأجوج في مصادر حديثية عديدة، منها صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٤/ ١٧٨٢) رقم (٢٩٣٧)، وليس فيه حصار المهدي.

ولعله يعني «إمام العرب» الذي أورده ابن ماجه:

فعندما سألت أم شريك رسول الله ﷺ عن العرب يومئذ قال عليه الصلاة والسلام: «هم يومئذ قليل، وجلُّهم ببيت المقدس، وإمامهم رجلٌ صالح. فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح...».

سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٢/ ١٣٦١) رقم (٤٠٧٧). وانظر: مجمع الزوائد (٧/ ٣١٦ ـ ٣١٧)، ففيه إشارة إلى ذلك دون ذكر المهدي. =

وعند ظهورِ غيرِه بابُ التوبةِ مفتوح، والدخولُ في الإسلام مفسوح.

وكذا الروايات الحديثيةُ مختلفةٌ في نظم هذه الآياتِ المؤتلفة. وتفاصيلُها يحتاجُ إلى مجلّداتٍ مؤلَّفة.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: لم يتعرَّضِ المصنِّفُ لتفسيرِ هذا «البعض»، وكأنَّهُ فهِمَ أنه من بابِ وضعِ الظاهر موضعَ المضمر.

= لكن الذي يُحصر هو عيسى عليه السلام وأصحابه من قبل يأجوج ومأجوج.
ففي صحيح مسلم: «... ويحصر نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم». كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٢٩٣٧).

أما قوله: إن طلوع الشمس من مغربها آخر الآيات، فقد ورد في الصحيح خلافه.

روى مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد. سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوعُ الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضحى، وأيُّهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثْرِها قريباً». صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض (٤/ ١٧٨٧) رقم (٢٩٤١)، مجمع الزوائد (٨/ ٨ ـ ٩)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٢/ ١٣٥٣) رقم (٤٠٦٩) (دون أن يسبقه لفظ إن) صحيح الجامع الصغير (٢٠١٣، ٢٥٦٠).

وآخر الآيات هي «نارٌ تخرجُ من اليمن تطرد الناسَ إلى محشرهم» كما في صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٤/ ١٧٦٣) رقم (٢٩٠١). وانظر تأويل المؤلف لما ذكره هنا في (ص ٣٥).

قلت: ولعل صحيح عبارته الأخيرة هو: «إلى آخر الآيات».

وقال السيد معين الدين الصفوي(١): أي الآياتُ التي تضطرُّهم إلى الإيمان.

وكلاهما مخالفٌ لنصِّ من أُنْزِلَ عليه القرآن، وفُوِّضَ إليه البيانُ في هذا الميدان؛ حيثُ ثبتَ بطرقٍ متظافرةٍ كادتْ أن تكونَ متواترةً، أن المرادَ بها طلوعُ الشمسِ من مغربها(٢). ولأن هذه الآيةَ من بين الآياتِ هي التي يترتَّبُ عليها قولُه سبحانه:

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾، «كالمُحتضَر» ــ بفتح الضاد ــ أي مَنْ حضَرَهُ علاماتُ الموت. فقد وَرَدَ أن اللَّهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يغرغر(٣).

---

(١) محمد بن عبد الرحمن الصفوي الإيجي الشافعي، ويعرف بلقبه معين الدين. ولد بإيج من نواحي شيراز. طلب العلم في كرمان وخراسان، تصدى للإفتاء في بلده، وقطن مكة أكثر من عشر سنين متوالية. عمل تفسيراً في مجلد ضخم هو «جامع البيان في تفسير القرآن» وغيره. أقرأ وأفاد. ت ٩٠٥هـ. الضوء اللامع (٨/ ٣٨)، الأعلام (٦/ ١٩٥).

(٢) قد استوفى ذكر رواياتها الإمام السيوطي في الدر المنثور عند تفسير الآية الكريمة (٣/ ١٠٨ ــ ١٠٩). وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٢٤) رقم (٢٤٨).

(٣) قوله ﷺ من حديث ابن عمر: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما. سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار (٥/ ٥٤٧) رقم (٣٥٣٧). وقال: حديث حسن غريب، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٢/ ١٤٢٠) رقم (٤٢٥٣).
وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٤٣٠). =

وقد قال اللّٰهُ تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـنَ ﴾[1].

«إذا صار الأمرُ عياناً»: أي ولو بعضَ العيان.

«والإيمانُ برهانيٌّ»: جملةٌ حاليةٌ. والمعنى: أن المطلوبَ من الإنسانِ هو الإيمانُ الغيبيُّ الناشىءُ عن دليلٍ محقَّق، أو تقليدُ نبيٍّ مصدَّق.

والحاصلُ أن الشارعَ جعلَ هذه الآيةَ أعظمَ الآيات، وما بعد ظهورها من جملةِ إيمانِ اليأسِ وتوبةِ البأس في الحالات، وإلاَّ فهي آيةٌ كسائرِ خوارقِ العادات. والإيمانُ نافع، والتوبةُ مقبولةٌ عند رؤية المعجزات.

«وقُرِىءَ»، أي: في الشواذّ.

«تنفع» «بالتاء» أي التأنيث.

«لإضافة الإيمانِ إلى ضمير المؤنث»، أي: واكتسابه التأنيثَ بمجاورةِ النفس.

وفيه إشارةٌ صوفيةٌ أن الميلَ إلى النفسِ يُخرجُ الشخصَ عن مقامِ الرجالِ الكُمَّلِ الأحوال.

وجُوِّزَ أن يكونَ التأنيثُ باعتبارِ معنى الإيمان، وهو المعرفة، أو العقيدة.

﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾، أي: من قبلِ ظهورِ هذه الآية.

والجملةُ «صفةُ نفساً»، أي: صفةٌ احترازية.

= ورواه الحاكم بلفظ: «من تاب إلى الله قبل أن يغرغر قبل الله منه». المستدرك (٤/٢٥٧).

(١) سورة النساء: الآية ١٨.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ «عطفٌ على ﴿ءَامَنَتْ﴾، أي: أو لم تكنْ كسبتْ في إيمانها خيراً، أي توبةً، فإنها منبعُ الخيرات، ومعدنُ المبرّات. فتنوينهُ للتعظيمِ لا للتعميم.

وحاصلهُ أنه من بابِ اللفِّ التقديري، أي: لا ينفعُ نفساً إيمانُها ولا كسبُها في إيمانها إن لم تكنْ آمنتْ من قبل، أو لم تكنْ كسبتْ فيه خيراً.

والمعنى أنه حينئذٍ لا ينفعهم تلهُّفهم على تركِ الإيمان، ولا تأسُّفهم على تركِ التوبة عن العصيان.

وهذا هو الموافقُ للآياتِ الواردة، والأحاديث الشاهدة، على أن مجرَّدَ الإيمانِ نافعٌ مع ارتكابِ العصيان، وهو المطابقُ لسياق الآية، وسباقِها ولحاقِها، حيث وردتْ تحسُّراً لمن تركَ الإيمانَ وأخَّرَ التوبةَ عن العصيان، إلى أن أغلقَ بابَ التوبةِ وفتح أبوابَ النعمة.

قال البغوي: يريد: لا يُقبلُ إيمانُ كافرٍ ولا توبةُ فاجر.

وصاحبُ المداركِ[1] فسَّرَ «خيراً» بـ «إخلاصاً»[2]، وقال: أي: كما لا يُقبلُ إيمانُ الكافرِ بعد طلوعِ الشمسِ من مغربها، لا يُقبلَ إخلاصُ المنافق أيضاً.

قلت: وفي معنى المنافق: المرائي الموافق.

ثم قال: أو توبة، وتقديرُه: لا ينفعُ إيمانُ مَنْ لم يؤمن، ولا توبةُ من لم يتبْ قبلُ. انتهى.

---

(١) يعني الإمام النسفي عبد الله بن أحمد. ت ٧٠١هـ. رحمه الله، وعنوان تفسيره: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل».

(٢) في ب: بإخلاص.

والحاصلُ أنه إذا لم يؤمنْ أحدٌ قبل طلوعِ الشمسِ وآمنَ بعدَهُ، لم يقبلْ إيمانه، وإذا آمنَ قبلَهُ إلاَّ أنه لم يُخلصْهُ، أو فسقَ فيه ولم يتبْ منه، أو لم يعملْ عملاً صالحاً ثم أخلصَ بعدَهُ، أو تاب من معصيته، أو زادَ في طاعته: لم يقبل.

فتأمَّلْ، فإنه موضعُ زللٍ ومحلُّ خَطَل.

ولا يبعدُ أن يكونَ المرادُ: لا ينفعُ نفساً إيمانُها تحصيلاً، وإتيانُها تكميلاً.

أو التقدير: لا ينفعُ نفساً إيمانُها نفعاً مطلقاً، أو نفعاً كاملاً ما لم تكنْ آمنتْ من قبل، أو لم تكنْ كسبتْ في إيمانها خيراً.

على أنه من باب اللفِّ من غيرِ تقديرِ «ولا كسبها» كما اختارَهُ ابن الحاجب[1] والطيِّبي[2]، وسائرُ أربابِ التحقيقِ وأصحابِ التدقيق، واللّـٰهُ وليُّ التوفيق.

«والمعنى»، أي: بحسبِ الفحوى.

---

(١) هو عثمان بن عمر، جمال الدين، فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، كردي الأصل. أصله من مصر وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية. كان أبوه حاجباً فعرف به. له مؤلفات عديدة، واشتهر بكتابيه الكافية في النحو، والشافية في الصرف. ت ٦٤٦هـ. الأعلام (٤/ ٢١١).

(٢) لعله إبراهيم بن محمد الطيبي الشاغوري الحنفي، برهان الدين أبو إسحاق. فهو فقيه نحوي، شرح المقدمة الآجرومية في النحو، وجمع بعضهم فتاويه. ت ٩١٦هـ. معجم المؤلفين (١/ ٩٥)، وآخر فقيه نحوي يعرف بالطيبي، هو أحمد بن أحمد الصالحي الدمشقي الحنفي. ت ٩٧٩هـ. المصدر السابق (١/ ١٤٦).

«أنه لا ينفعُ الإِيمانُ حينئذ»، أي: وقتَ ظهورِ طلائعِ الإِيقان.

«نفساً»، أي: شخصاً.

«غيرَ مقدِّمةٍ»، أي: هي.

«إيمانَها»، أي: في زمانِها على ذلك اليوم، مع بقائها على حالها وفي شأنها.

«أو مقدِّمةً إيمانَها غيرَ كاسبةٍ في إيمانِها خيراً»، أي: عملاً من أعمالِ الخيرِ مطلقاً.

«وهو دليل»، أي: بحسبِ الظاهر.

«لمن لم يعتبرِ الإِيمانَ المجرَّدَ عن العمل»، وهم المعتزلةُ وبعضُ المبتدعة، لأنه سوَّى بين عدم الإِيمانِ والإِيمانِ الذي لم تكسبْ فيه خيراً من الأركان.

وقد رُدَّتْ أدلَّتُهم بالكتاب والسنَّة، كما في عقائدِ علماءِ الأمة، من أهلِ السنَّةِ والجماعة.

«وللمعتَبِر»، أي: للإِيمانِ المجرَّد، وهو المعتبرُ عند الأكثر.

«تخصيصُ هذا الحكم»، وهو اعتبارُ العملِ السابق.

«بذلك اليوم» بقرينةِ تخصيصِ حكمِ الإِيمانِ السابقِ بذلك اليوم، باتفاقِ القوم.

ولا يلزمُ من عدمِ نفعِ الإِيمانِ المجرَّدِ، أو مع عدمِ الكسبِ الحادثِ في ذلك الزمانِ أن لا ينفعَ في الآخرةِ ما سبقَ منهما قبل ذلك من الأحيان.

«وحملُ الترديدِ»، أي: وللمعتبِرِ أيضاً حملُ الترديدِ المفهومِ من «أو»:

«على اشتراطِ النفعِ بأحدِ الأمرين»، وهما: الإِيمان، وكسبُ الخير.

على أن «أو» لعدمِ الخلع.

«على معنى: لا ينفعُ نفساً ــ خلا[1] عنهما ــ إيمانُها». غايتهُ أن الإِيمانَ معتبرٌ بدون العمل، بخلافِ العكس. فتأمَّل.

«والعطفُ»، أي: وله عطف «كسبت».

على «لم تكن»، أي: لا على «آمنت» كما سبق، وأن «أو» بمعنى الواو.

«بمعنى: لا ينفعُ نفساً إيمانُها الذي أحدَثَتْهُ حينئذ»، أي: بعد مشاهدةِ هذه الآيةِ الواضحة.

«وإنْ كسبتْ فيه خيراً»، بكسر إنْ على أنها وصلية، أو بفتحها على أنها مصدرية، عطفاً على «إيمانها»، أي: ولا ينفعُ نفساً كسبُها فيه خيراً مما أحدَثَتْهُ حينئذ.

وللعصام هنا من الكلام ما يوافقُ المرام، بل يردُّ الملام، وهو قولُه: يريدُ أن المرادَ أنهم ينتظرون في الإِيمانِ وقتَ إتيانِ ملائكةِ الموت، أو العذابِ، أو أمرِ الربِّ بالعذاب، أو كلِّ آياته. يعني آياتِ القيامةِ والهلاك الكلِّي، أو بعضِ آياتِ القيامة، ولا ينفعُ إيمانُهم في شيءٍ من هذهِ الأوقات.

ويأباهُ أنه لم يبيِّن عدم نفع الإِيمانِ إلاَّ وقتَ إتيان بعضِ الآيات، إلاَّ أن يقال: بيانُ عدمِ النفعِ عند إتيان البعضِ يُغني[2] عن بيانِ عدمِ نفعٍ عند إتيان الكلِّ. انتهى.

---

(١) في تفسير البيضاوي «حاشية محيي الدين شيخ زاده» (٢/ ٢٢٤: خلت).

(٢) في أ: يعني.

ولا يخفى أن هذا ممنوعٌ عند أربابِ العقول، ومدفوعٌ عند أصحابِ النقول؛ لأن الإيمانَ بعد ظهورِ الدجالِ ــ الذي من جملةِ الآيات ــ مقبولٌ بلا خلافٍ منقول، وكذا في سائرِ الآيات.

وإنما يختصُّ عدمُ النفعِ بسطوعِ طلوعِ الشمسِ من مغربها، كما جاءَ بالتصريحِ في الأحاديثِ الواردةِ في الصحيح، منها ما أخرجَهُ عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تقومُ الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانها»، ثم قرأ الآية[1].

ومنها ما أخرجه الطيالسيُّ وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه، والنسائي وابن ماجه وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقيُّ عن صفوان بن عسّال، عن النبيِّ ﷺ قال:

«إن اللّـهَ جعلَ بالمغربِ باباً عَرْضُهُ سبعونَ عاماً مفتوحاً للتوبة، لا يغلقُ ما لم تطلع الشمسُ من قِبَلِهِ، فذلك ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا﴾»[2].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حدثنا أبو اليمان (٧/ ١٩١)، وكتاب الفتن، باب حدثنا مسدد (٨/ ١٠١)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٢٤) رقم (١٥٧).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار (٥/ ٥٤٦) رقم (٣٥٣٦).

=

ولفظُ ابن ماجه: «فإذا طلعتْ من نحوه ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾»[1].

ومنها ما أخرجَهُ عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والبيهقي في البعث عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من تابَ قبل أن تطلعَ الشمسُ من مغربها تابَ اللّـٰهُ عليه»[2].

ومنها ما أخرجَهُ أحمد وعبد بن حميد وأبو داود والنسائي مرفوعاً:

«لا تنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبة، ولا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ [من مغربها]»[3].

ومنها ما أخرجه ابن أبـي شيبة ومسلم والنسائي وأبو الشيخ في «العظمة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، عن أبـي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

= وقال: حديث حسن صحيح، مسند أبـي داود الطيالسي (١/ ١٦٠ ـ ١٦١) (وهو بألفاظ متقاربة، وأقربه عند أحمد في مسنده ٤/ ٢٤١).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٢/ ١٣٥٣) رقم (٤٠٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٨٩)، وكذا في صحيح الجامع الصغير (٢٢٢٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤/ ١٦٤٩) رقم (٢٧٠٣).

(٣) سنن أبـي داود، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الهجرة (٣/ ٣) رقم (٢٤٧٩)، مسند أحمد (٤/ ٩٩) عن معاوية رفعه، وعن عدة من الصحابة بينهم معاوية رضي الله عنهم عند أحمد أيضاً (١/ ١٩٢)، وقال فيه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٥١): . . . رجال أحمد ثقات. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٤٦٩). وما بين المعقوفتين من المصادر المثبتة، لم يرد في النسختين.

«إن اللَّـهَ يبسطُ يدَهُ بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَهُ بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مغرِبها»[1].

والأحاديثُ المرفوعةُ والموقوفةُ في هذا المعنى كثيرةٌ شهيرة، كما في «الدر المنثور في التفسير المأثور»[2].

ومما يستعانُ به في تفسيرِ الآيةِ ما أخرجَهُ أبو الشيخ وابنُ مردويه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«صبيحةَ تطلعُ الشمسُ من مغربها يصيرُ في هذه الأمةِ قِرَدةٌ وخنازير، وتُطوىٰ الدواوين، وتجفُّ الأقلام، لا يُزادُ في حسنةٍ، ولا يُنقَصُ في سيئة» فقرأ الآية[3].

وفيه دلالةٌ على أن إحداثَ الإيمان وزيادةَ عملِ الأركانِ لا يُقبلُ في ذلك الزمان، لمن كان قبلَهُ من أهلِ الكفر والكفران، أو من أرباب الفسقِ والعصيان، أو من أصحابِ التقصير والتوان.

ويؤيدُه ما أخرجَهُ ابن المنذر عن ابن جريج في تفسير الآية: لا ينفعُها الإيمانُ إن آمنت، ولا أن تزدادَ في عملٍ لم تكنْ عملتْهُ[4].

وما أخرجَهُ ابنُ أبي حاتم وأبو الشيخ عن مقاتل في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: يعني المسلمَ الذي لم يعملْ في إيمانهِ خيراً،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب (١٦٧٨/٤) رقم (٢٧٥٩).

(٢) الدر المنثور (٣/ ١١١).

(٣) المصدر السابق (٣/ ١١٢).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١١٠).

وكان قبلَ الآيةِ مقيماً على الكبائر[1].

وما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السُّدِّي في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ يقول: كسبتْ في تصديقها عملاً صالحاً[2]، وإن كانت مصدِّقةً لم تعملْ قبل ذلك خيراً فعملتْ بعد أن رأتِ الآيةَ لم يُقْبَل منها، وإن عملتْ قبل الآيةِ خيراً ثم عملتْ بعد الآيةِ خيراً قُبِلَ منها[3].

فهذا وأمثالُهُ من كلام السلفِ ما يظهرُ فيه خلافُ ما عليه بعضُ الخلفِ، والسابقونَ الأولونَ أولىٰ بالاعتبارِ عند أولي الأبصار، فإن نقولَهم صدر عن منابعِ الأسرارِ وبدائعِ الأنوار.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ﴾، أي: ما تقدَّم من ظهورِ الأسباب.

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ لكمُ العذابَ المضاعفَ بالحجاب.

«وعيدٌ لهم»، أي: أمرُ تهديد.

«أي انتظروا إتيانَ أحدِ الثلاثة»، هي قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾... إلخ.

«فإنا منتظرون له»، أي: لأحدها.

«وحينئذٍ لنا الفوزُ»، أي: الظفرُ الجميل.

«وعليكم الويل»، أي: الهلاكُ الوبيل، كما قامَ به الدليل، ووردَ به التنزيل.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) في الدر زيادة: هؤلاء أهل القبلة.

(٣) المصدر السابق.

وفي هذا إقناطٌ لهم عن إيمانهم، وإشعارٌ بإصرارهم على كفرانهم. فختمَ اللّـهُ لنا بالحسنى، وبلَّغَنا المقامَ الأسنى.

* * *

بقيَ في تحقيقِ هذا المقام، مباحثُ منقولةٌ عن علماءِ الأعلام:

١ ــ منها ما نُقِلَ عن الإمامِ أبي الليث السمرقندي[1] ــ منا ــ والحليمي[2] ــ مِنَ الشافعية ــ أن عدمَ نفعِ الإيمانِ الحادثِ في ذلك الزمان، وكذا نفيُ فائدةِ كسبِ الإحسانِ في تلك الأحيان، إنما هو بالنسبةِ إلى من آمنَ وماتَ عقيبَ إيمانِهِ وقتَ المعاينة.

وأما من امتدَّ أجلهُ، وعاشَ واستمرَّ على ذلك الإيمان، فإن توبتَهُ مقبولة، وإيمانهُ مقبول: ففيه نظرٌ ظاهر؛ لأنه خلافُ ظاهرِ الآية، وما وردَ من الأحاديث في السنَّة، حيث وقع الإطلاقُ من غيرِ تفصيلٍ في المسألة. فلا بدَّ من روايةِ نقلٍ صريح أو دلالةِ عقلٍ صحيح.

٢ ــ ومنها قولُ بعضهم: إن بعد مشاهدةِ هذه الآيةِ لا تقبلُ التوبةُ إلى قيامِ الساعة، وهو ظاهرُ الآية.

ويؤيدهُ حديث: «**من تابَ قبل أن تطلعَ الشمسُ من مغربها تابَ اللّـهُ عليه**»[3].

---

(١) العلامة المتصوف الزاهد نصر بن محمد السمرقندي، الملقب بإمام الهدى، من أئمة الحنفية. له تصانيف نفيسة، واشتهر بكتابه: «تنبيه الغافلين». ت ٣٧٣هـ. الأعلام (٨/ ٢٧).

(٢) العالم الجليل، الفقيه الشافعي الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. وكان قاضياً. له «المنهاج» في شعب الإيمان. ت ٤٠٣هـ. الأعلام (٢/ ٢٣٥).

(٣) رواه مسلم. سبق تخريجه.

وكذا حديث: «**لا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها**»(١).

إذ لا بدَّ في هذا التخصيصِ من فائدة.

وقد صُرِّحَ في حديثٍ أنه **إذا أُغْلِقَ بابُ التوبةِ لا يُقْبَلُ لعبدٍ بعد ذلك توبة، ولم تنفعْهُ حسنةٌ يعملها بعد ذلك**(٢).

٣ ــ ومنها قولُ بعضهم: إن هذا الحكمَ ــ وهو عدمُ صحةِ التوبةِ ــ خاصٌّ بمن شاهدَ تلك الآية، وأما من وُلِدَ بعدها ولم يشاهدْها فإيمانُه مقبول، وتوبتهُ صحيحة، وكذا من لم يكنْ من أهل التمييز حالَ رؤيةِ الآية.

وهذا هو الموافقُ للأصولِ الدينيةِ والقواعدِ الشرعية؛ لأنه سبحانَهُ دعا الخلق إلى التوحيدِ وتصديقِ النبوة، فإذا كان الإيمانُ أو التوبةُ وُجِدَ غيرَ اضطراريّة(٣)، يكونُ مقبولاً بالضرورة.

إلَّا أنه يحتملُ أن لا يمتدَّ قَدْرُ هذه المدةِ قبل قيامِ الساعة. فقد وردَ أنه:

لو نتجَ رجلٌ مُهراً لم يركبْهُ حتى تقومَ الساعة، من لدن طلوعِ الشمسِ من مغربها إلى يومِ يُنْفَخُ في الصُّور(٤).

---

(١) حديث صحيح. سبق تخريجه.

(٢) أورده من مفهوم حديث سبق تخريجه في (ص ٢٤).

(٣) في أ: اضطرادية.

(٤) قوله ﷺ لحذيفة: «لو أنتجت فرساً لم تركب فلوّها حتى تقوم الساعة»، و«ثم ينتج المهر فلا يُركب حتى تقوم الساعة»، كلا اللفظين في مسند أحمد (٥/ ٤٠٣). وهو جزء من حديث طويل، روى أوله أبو داود والحاكم أيضاً دون ذكر خبر الفرس أو المُهر. سنن أبي داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٩٥)، المستدرك (٤/ ٤٣٢، ٤٣٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

لكنه معارضٌ لحديث: «**لا تقومُ الساعةُ حتى يلتقيَ الشيخانِ الكبيرانِ، فيقولُ أحدُهما لصاحبِهِ: متى ولدت؟ فيقول: زمنَ طلعتِ الشمسُ من مغربِها**»[1].

إلاَّ أن الحديثَ الأولَ أصحّ، واللّـٰهُ أعلم.

٤ ــ فإن قلتَ: قد وردَ أن **أوَّلَ الآياتِ خروجاً طلوعُ الشمس من مغربها**[2]. وإذا كان أولُ الآياتِ مشاهدةَ هذا الحال، فبالضرورة يكونُ قبلَ خروجِ الدجال، ومن المقرَّرِ أن عيسى عليه السلام يقتلهُ، والإيمانُ في زمانهِ مقبول، حتى ترتفعَ الجزيةُ من الأحكام، ولم يكنْ إلاَّ السيفُ أو الإسلام؟

قلت: الظاهرُ أن المرادَ بأولِ الآياتِ الآياتُ السماوية، من اختلالِ نظامِ الأفلاكِ والكواكب وأمثالها.

ويؤيدهُ ما وردَ في أحاديثَ متعدِّدة أن **الآياتِ خرزاتٌ منظومات، فإذا انقطع السلكُ تبعَ بعضُها بعضاً**[3].

---

(١) أورده في الدر المنثور (٣/ ١١٢) لعبد بن حميد، ورواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ١١٧ ــ ١١٨) في ترجمة محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رفعه، وقال في آخر ترجمته: . . . وأما في الحديث فخاصة إذا روى عن أبي صالح عن ابن عباس ففيه مناكير، واشتهر به فيما بين الضعفاء. يكتب حديثه.
وأورده في المطالب العالية رقم (٤٥٥٧) للحارث. وفي هامشه أن البوصيري قال: فيه محمد بن السائب الكلبي، وهو ضعيف.

(٢) في حديث رواه مسلم، سبق تخريجه في هامش (ص ٢٣).

(٣) حديث عبد الله بن عمرو المرفوع: «الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً»، رواه أحمد في المسند (٢/ ٢١٩). قال في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢١): رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث. قال: وعن =

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه: الآياتُ كلُّها في ثمانية أشهر[١].

وعن أبـي العالية[٢]: في ستةِ أشهر[٣].

وعن قتادة: أن كلَّ آية في سنة[٤]. واللّـهُ أعلم.

٥ ــ فإن قلتَ: قد وردَ في حديثٍ صحيح:

«ثلاثٌ إذا خرجْنَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبل: الدجَّال، والدابَّةُ، وطلوعُ الشمسِ من مغربها»[٥]؟

= أبـي هريرة عن النبـي ﷺ قال: «خروج الآيات بعضها على أثر بعض تتابعن كما تتابع الخرز في النظام». رواه الطبراني في الأوسط [رقم٤٢٨٣] ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني وكلاهما ثقة. اهـ.

وحديث أنس المرفوع: «الأمارات خرزات منظومات بسلك، فإذا انقطع السلك تبع بعضه بعضاً» رواه الحاكم في المستدرك (٤/٥٤٦) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبـي. وصححه في صحيح الجامع الصغير (٢٧٥٥).

(١) الدر المنثور (٣/ ١١١).

(٢) هو رفيع بن مهران الرياحي رحمه الله. أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبـي ﷺ بسنتين. قال أبو بكر بن أبـي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبـي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السدي، وبعده سفيان الثوري. ت ٩٠هـ. وروى له الجماعة. تهذيب الكمال (٩/ ٢١٤).

(٣) الدر المنثور (٣/ ١١١).

(٤) قوله رحمه الله: كنا نُحدَّث أن الآيات يتابعن تتابع النظام في الخيط عاماً فعاماً. المصدر السابق (٣/ ١١٢).

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١/ ١٢٥) رقم (١٥٨) ولفظه: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل وكسبت في إيمانها خيراً: طلوعُ الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض». =

قلت: يُحْمَلُ على المجموع لا على كلِّ فرد، إذ ثبتَ بطرقٍ متعدِّدةٍ كادتْ أن تكون متواترة ــ بل هي متواترةٌ ــ المعنى أن بعد طلوعِ الشمسِ من مغربِها لا يُقْبَلُ إيمان، ولا توبة[١].

بل صحَّ حديث: «**لا تنقطعُ التوبةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها**»[٢].

ولم يأتِ في حديثٍ صريحاً أن بعد خروجِ الدجالِ ــ مخصوصة ــ أو الدابةِ تنقطعُ[٣] التوبة.

ولعلَّ كان في بدءِ الأمرِ مبهماً عنده عليه السلام، ثم تبيَّنَ على وجهِ النظام. ويؤيدهُ ما وردَ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:

«**خمسٌ لا أدري أيتهنَّ أولُ من الآياتِ، وأيتهنَّ جاءتْ لا ينفعُ نفساً إيمانُها: طلوعُ الشمسِ من مغربها، والدجَّال، ويأجوج ومأجوج، والدخان، والدابَّة**»[٤].

ولعلَّ هذا هو السرُّ في إبهام الأمرِ بقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ مع ما فيه من التبجيل والتهويل.

= وسنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام (٥/ ٢٦٤) رقم (٣٠٧٢) ولفظه: «ثلاث إذا خرجن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من المغرب، أو من مغربها».

(١) سبق بيانه في (ص ٢٤ ــ ٢٥).

(٢) حديث صحيح سبق تخريجه في (ص ٣٥).

(٣) في أ: ينفع.

(٤) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده رقم (٥١٣) وأوله: «خمس سنن إنهن أول من الآيات...».

ويقوِّيهِ أنه وردَ في حديث صحيح، عن عبد الله بن عمرو[1] رضي الله عنهما قال: حفظتُ من رسولِ الله ﷺ أن:

«أول الآياتِ خروجاً طلوعُ الشمسِ من مغربِها، وخروجُ الدابَّة ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها»[2].

قال عبد الله ــ وكان يقرأ الكتب ــ: وأظنُّ أولهما خروجاً طلوعَ الشمسِ من مغربها[3].

وقد صحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: مضتِ الآياتُ غيرَ أربع: الدجَّال، والدابَّة، ويأجوج ومأجوج، وطلوعُ الشمسِ من مغربها. والآيةُ التي يختمُ بها الأعمالُ طلوعُ الشمس من مغربها[4]. ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الآية. قال: فهي طلوعُ الشمسِ من مغربها[5].

وأخرجَ الحاكمُ وصحَّحهُ عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ: أن دابَّةَ الأرض تخرج، ثم الدخان[6]. وأن التوبةَ لمفتوحة حتى[7] تطلعَ الشمسُ من مغربها.

---

(١) في أ: عمر، والصحيح كما في ب.

(٢) رواه مسلم، سبق تخريجه في هامش (ص ٢٢ ــ ٢٣).

(٣) قوله رضي الله عنه في سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها (٢/ ١٣٥٣) رقم (٤٠٦٩).

(٤) لفظه في المستدرك: والآية التي يختم الله بها الشمس. ثم قرأ. . .

(٥) الدر المنثور (٣/ ١١٢). (أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن مردويه والحاكم وصححه). المستدرك (٤/ ٥٤٥) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وليس في آخره: قال: فهي طلوع الشمس من مغربها.

(٦) في أ: الدجال.

(٧) في أ: ثم.

وقد وردَ عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ مرفوعاً:

«أن الدجَّال يخرجُ، فيقتلهُ عيسى عليه السلام، فيمكثُ الناسُ في ذلك حتى يُكْسَرَ سدُّ يأجوج ومأجوج، فيموجونَ ويُفسدون، ويستغيثُ الناسُ ولا يستجابون، فيبعثُ اللهُ دابَّةً من الأرض، ولا يلبثونَ إلاَّ قليلاً حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها، وجفَّتِ الأقلامُ وطويتِ الصحف، ولا تُقبلُ من أحد توبة»[١].

فنسألُ اللّـٰهَ حسنَ الخاتمة، وتوفيقَ التوبةِ الخالصة.

ثم رأيتُ: أخرجَ ابنُ ماجه والحاكمُ وصحَّحهُ ــ لكن الدميري[٢] تعقبه ــ عن أبي قتادة[٣] قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«الآياتُ بعد المائتين»[٤].

---

(١) قال في الدر المنثور (٣/ ١١٥): أخرجه نعيم بن حماد في الفتن والحاكم في المستدرك وضعفه.
قال الشهاب الخفاجي رحمه الله: الآية المانعة من قبول الإيمان والتوبة إنما هي طلوع الشمس من مغربها، وهو الصحيح عند المفسرين والمحدِّثين، والأحاديث الأخر غير منافية لها. راجع هذا وما قبله تفصيلاً في حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/ ١٤٢).

(٢) يعني محمد بن موسى الدميري الأصل، القاهري الشافعي، كمال الدين أبو البقاء، صاحب حياة الحيوان الكبرى، وهو مفسِّر، فقيه، أصولي، نحوي، ناظم. أخذ عن بهاء الدين السبكي وآخرين. درَّس في الأزهر ومكة المكرمة، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ. معجم المؤلفين (١٢/ ٦٥).

(٣) الصحابي الجليل أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه. اختلف في اسمه. شهد أحداً والخندق وما بعد ذلك من المشاهد مع رسول الله ﷺ. ت ٥٤هـ. تهذيب الكمال (٣٤/ ١٩٤).

(٤) حديث موضوع. =

والظاهرُ ـ واللَّهُ أعلم ـ أن يكونَ المرادُ بالمائتينِ بعد الألفِ[1] السابع.

لكن هل المرادُ بالآيات مطلقُ أشراطِ الساعة؟ أو الآياتُ المتتابعةُ التي يكونُ مبدأها طلوعَ الشمسِ من مغربها؟

اللَّهُ سبحانَهُ أعلمُ بحقيقتها.

تمَّ بحمدِ اللَّهِ سبحانه[2]

❑ ❑ ❑

= سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الآيات (١٣٤٨/٢) رقم (٤٠٥٧)، وقال بوضعه في ضعيف سنن ابن ماجه (٨٧٩)، والحاكم في المستدرك (٤٢٨/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي: أحسبه موضوعاً، وعون ضعَّفوه. وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح، العلل المتناهية (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢). وقال في الموضوعات (١٩٨/٣): حديث موضوع. كما ذكر الألباني أنه موضوع في ضعيف الجامع الصغير (٢٢٦٤).

(١) في ب: ألف.

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله:

تمَّت مقابلته بنسخة (ب) نيابة عن محققه وذلك بيني وبين الدكتور الأديب عبد الله المحارب الكويتي، وبحضور المشايخ والإخوة الكرام: نظام محمد صالح يعقوبي، ومحمد بن ناصر العجمي، وداود بن يوسف الحرازي، والبراء بن حسن الوراكلي، ومهدي الحرازي، ليلة ٢٣ رمضان المبارك ١٤٢٥هـ.

الفقير إلى الله

العربي الدائز الفرياطي

الفهارس

فهرس الأحاديث

* * *

فهـرس الأعـلام

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٣
صور المخطوط	٧
النص محققاً	
* مقدمة المؤلف	١٣
* ذكره تفسير قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ...﴾	١٤
* القول في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾	١٨
* تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾	١٨
* ذكر الحديث في الآيات وشرحه	٢٠
* تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا...﴾ إلخ	٢٤
* الأحاديث في ذلك	٣٠
* مباحث منقولة عن العلماء في ذلك	٣٤
* فهرس الأحاديث	٤٤
* فهرس الأعلام	٤٦

● ● ●